باب الرثاء

الى الصديق الراحل

السيد مصطفى لطفى المنفلوطى

ان كان يفى حق صداقتك ، جزع القلب لمصيبتك وذرفان الدمع على فرقتك أو يقوم بحق وفائك وقف القلم على رثائك فلك منى ذلك فى مماتك ، كما كان لك كل قلبى فى حياتك غير أن الخطب جسيم والمصاب عظيم ، فلقد فقد الشرق اسبق كتابه ، وأفضل ادبائه ، فى نزاهة اسلوبه عن فحش القول وتجرده من هجره ، وبراءة صاحبه من امراض الكتاب الخلقية وعللهم الاجتماعية ، وادوائهم السياسية هذا الى ما وهبه الله من حسن البراعة ، ورقة العبارة ودقة التصوير ، حتى كأن براعته ريشة مصور ماهر ، تصور عواطف البائسين والمحزونين وانين الثكالى والمنكوبين ، حتى يشعر القارئ بشعورهم ، ويحس بآلامهم ، وما كانه الافرد من افرادهم ، على أن قدرتك لم تقف عند هذا الحد بل كنت تفرج هذا الكرب بعبارة تجعل من البائس سعيداً ، ومن المحزون هانئاً ، بل من البخيل كريما ومن الجبان شجاعا ، ومن المتبذل عفيفا . ومن المرذول فاضلا . هذه قصصك أيها الصديق تشهد بذلك ، وتلك نظراتك كانت لشبابنا خير مرشد ، ولشيبنا خير واعظ . وتلك عبراتك هذبت النفوس ، ورققت الطباع ، وقومت الاخلاق وأسالت

الدمع السخين ، على الضعفاء والمساكين . وهذه رسالتك السياسية ، أملت على القراء أصدق المباديء الوطنية وخير المناهج القومية ، على انك ما كنت تخورا بذلك . ولم ترم من ورائها سمعة ولا شهرة الا ان قلمك كان ينم عنك وكفى بهذا تخراً لك ، كل هذه آيات تشهد بان فقدك اعظم خسارة على عالم الادب . واكبر نكبة حلت بالاخلاق الفاضلة ، التي كان اظهرها فيك نبل المقصد ، وشرف الغاية . ولقد كنا نود ان يفسح الله لنا في اجلك حتى نرى من آياتك عجباً ، ومن عظاتك عبراً ، ولكنك تعجلت آجلتك ، ويئست من عاجلتك ، يوم أن بلغت الاربعين [١] فعاتبتك على يأسك ، وقلت لك ويل لي وقد بلغت الثانية والاربعين . والآن وقد صدقت نبوءتك وصحت فراستك ، فهأنذا انتظر اللحاق بك ، وهو خير من حياة يعتدى فيها وغد لئيم على زعيم أمة جليل ، فالى اللقاء أيها الصديق الحميم

يا موت هأنذا تخذ ... ما أبقت الايام مني
بيني وبينك خطوة ... ان تخطها فرجت عني

ابو الفتح الفقي
نائب كفر الزيات ونقيب المعلمين

---

(١) اشارة الى الرسالة التي كتبها الفقيد يوم بلغ الاربعين ، كانت مملوءة بكاء على الشباب وجزعاً من المشيب